

إعجام الأعلام

تأليف

محمود مصطفى

استاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية
بالجامعة الأزهرية

ليس فى قراء الأدب العربى من لا يقابل فى قراءاته كل يوم عددا من اعلام الناس ، وأسماء البلاد والأنهار والمواقع وما إليها . وكثير من القراء يعمرون بهذه الأعلام سراعا ، إما لأنها لا تعنيهم - أو يظنون أنها لا تعنيهم - وإما لأنهم يعرفونها معرفة ما قد يجدون فيها قناعتهم ، وإما لأنهم على تشوفهم للوقوف عليها لا يجدون معجما سهلا موجزا يعرف بها أمريفا صحيحا سريعا . والكتاب الذى بين يدى الآن يخدم الأدب العربى من هذه الناحية خدمة جليلة ، فإن أعلام الأدب العربى كعالم الطريق ، بها يعرف ، وعليها يمتد ، وحولها ينعطف ويدور .

ولقد خدم العلماء والأدباء القدامى هذا الفرع من التاريخ الأدبى فيما سلف فكانت لهم فيه مؤلفات مشكورة ، كمعجم البلدان لياقوت الحموى ، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . وكتاب الأنساب للسمعانى ، واللباب فى معرفة الأنساب لابن الأثير ، ولب اللباب للسيوطى ، ومعجم ما استعجم لأبى عبيد الله البكرى ، وتهذيب الأسماء واللغات لأبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى ، وغيرها . ولكن هذه الكتب لا تصلح للقارىء العصرى مهما تصلح للعالم العصرى ، ومهما كانت صالحة للأزمنة التى كتبت فيها . وكلنا يعرف عبارات الفيروزابادى فى التعريف بأعلام الناس والبلاد ، وما فيه من جهد حميد بذله ، وما فيه من غموض لا يهديننا إلى ما نريد فى عصرنا من حيث الدقة والسرعة .

فكتاب الأستاذ محمود مصطفى فى إعجام الأعلام قد أضاف إلى المكتبة

العربية الحديثة صفحات طيبة كانت في أشد الحاجة إليها، وهو عمل شبيه بما يقوم به العلماء الأوروبيون من وضع معاجم مختصرة لكل شيء، في اصطلاحات العلوم المختلفة، وفي أعلام العلوم والفنون، وفي الأسماء التاريخية والجغرافية. وكلنا يعرف فضل «لاروس الصغير»، وما يقدمه لنا قسمه التاريخي والجغرافي من معلومات مضبوطة سريعة عن الأعلام العالمية.

ويزيد في قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه جدخير بموضوعه، فإن له من تضلعه في علوم اللغة والأدب، ومشاركته في سائر العلوم، ما يجعله خير مؤلف لمثل هذا المعجم النافع. وهو في توفره على العلم والدرس شبيه بأستاذنا العلامة الشيخ الاسكندري، حتى لقد سميناه عن جدارة «الاسكندري الصغير»، ونحن حين نوجز القول في إطار هذا الكتاب ومؤلفه إنما نفعل لأن روابط عدة تربطنا بالأستاذ، ونخشى إن نحن استرسلنا أن نرمي خطأ بمحاباتنا لزميل فاضل، يجب ألا تكون زمالته وصداقته حائلا دون إنصافه.

وفي الكتاب أكثر من ألف علم من أعلام الاناسي والمواضع، وبه خمسة مصورات تاريخية للبلاد التي عرفها الاسلام منذ الفتح إلى اليوم، وبه كذلك قهارس هجائية للأعلام والمواضع.

وقد أقرت الكتاب اللجنة العلمية لجامعة دار العلوم وطبعته الجماعة، فهو بذلك أول كتاب تخرجه اللجنة العلمية في سبيل إحياء الأدب العربي.

مهدي علم

تاريخ الإسلام السياسي

تأليف

الدكتور حسن إبراهيم حسن

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية

اعتزم مؤلف هذا الكتاب أن يخرج تاريخاً سياسياً للإسلام في ستة أجزاء ،
ظهر منه منذ أسبوع الجزء الأول في ستين وستائة صفحة . وقد تناول في هذا
الجزء : تاريخ العرب قبل الإسلام ، والبعثة النبوية ، والخلفاء الراشدين ،
والدولة الأموية .

وقد اعتمد المؤلف على عشرات المصادر العربية والفرنجية .
ولم يقصر بحثه على النواحي السياسية للتاريخ بل عرض لكثير من مظاهر
الحضارة كالاقتصاد والثقافة ، ولولم يفعل لكان التاريخ السياسي جافاً مملاً . فإن
الحالة السياسية لأي شعب من الشعوب ليست إلا مظهراً من نظام عام يشمل
فلسفته ومثله العليا وحياته الاجتماعية والدينية الخ .

ويستوقفنا عند كلامه عن المرأة في الجاهلية « ص (٣٧) ما كتبه عن
« وأد البنات ، فقد قال .

« ومن عاداتهم المستقبحة أيضاً ما كان من وأدم البنات أحياء لاعتقادهم أنه
ليس بهم من حاجة لثرية نقر غير مفيد ؛ على أن هذا الأمر لم يكن شائعاً عند
العرب ، بل كان في بعض الطبقات المنحطة منهم خشية الفقر ، وعلى الأخص في
بنى أسد وتيم ، وقد نهى عن ذلك القرآن الكريم : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) .

فإن الذي نعرفه أن وأد العرب بناتهم كان خشية العار : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ
مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . »
ذلك إلى أن هذه العادة لم تكن مقصورة على الطبقات المنحطة ، فإن بعض
أشراف العرب وأد بناته قبل الاسلام .

ونقتبس فيما يلي بعض ما كتبه الأستاذ المؤلف عن هجرة المسلمين إلى الحبشة،
بمناسبة المحنة الحبشية الحاضرة (ص ١٠٦) :

لماذا لم يفكر الرسول في غير الحبشة ؟

ولما رأى الرسول ما أصاب أصحابه من البلاء قال لهم . « لو خرجتم إلى أرض
الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ؛ وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم
فرجا مما أنتم فيه . »

ولم يفكر الرسول في هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية ، لأنها كانت
ترفض دعوته في مواسم الحج بجماعة لقريش أو تمسكا بدينها الوثني كذلك لم
لم يفكر في الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين في يثرب
ونجران وغيرهما ؛ لأن كلامن الجاليتين اليهودية والمسيحية كانت تنازع الأخرى
وتناقضها في النفوذ الأدبي ببلاد العرب ، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافسا ثالثا
خصوصا إذا كان من العرب أنفسهم الذين يحتقرونهم ويقولون عنهم « لا علينا
في الأميين من سنبل » (١) أما اليمن - وهي مستعمرة للفرس الذين لم يدينوا بدين
سموئى - فلم يطمئن الرسول إلى الالتجاء إليها . وقد برهنت الأيام على بعد نظره .
فقد كتب كسرى إلى « باذان » عامله على بلاد اليمن : « ابعث إلى هذا الرجل الذي
بالحجاز رجلين جلدَين من عندك فليأتيا به ، وكذلك كان شأن الحيرة التي

(١) وقد بدا هذا الشعور منهم واضحا عند ما هاجر الرسول إلى المدينة إذا اتَمروا
به مرات وجادلوه غير مخلصين حتى وصل إليهم الأمر إلى أن قالوا لقريش « لديكم
أفضل من دينه »

كانت إلى ذلك الحين بعيدة غاية البعد عن مكة ، أما الشام فهي بعيدة كذلك فضلا عما كان يسودها هي والخيرة إذ ذلك من اضطراب ، ثم إن كلا من الشام واليمن والخيرة كانت أسواقا هامة لتجارة قريش ، ولقريش بكل منهاصلات وثيقة ومضال متبادلة وزيارات في أوقات منتظمة . فإذا علت قريش بوجودهم في بلد منها ، فانها تطلب إلى أهل ذلك البلد أن يردوهم إليها ويخرجوهم ، كما حاولت ذلك مع النجاشي لولا تسامحه ، وقوة خلقه .

لذلك اتجه الرسول إلى بلاد الحبشة لما كان يعهده عن ملكها من العدل والتسامح . وفي ذلك يقول الرسول للسلميين : « فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق الخ » ، وقد هاجر عشرة رجال وأربع نسوة ، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلا وسبع عشرة امرأة سوى الصبيان ؛ وكلهم من بطون قريش . وكان فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف

وقد أكرمهم النجاشي وأمنهم على حياتهم وأصبحوا في رغد من العيش . فلما رأى أهل قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا فيل بينهم على أن يبعثوا منهم رجلين جليدين إلى النجاشي ليخرجهم من بلاده ، فيبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص^(١) ويقال إنه كان معهما معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة .

فأرسل عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص إلى النجاشي ومعهما الهدايا وطلبوا مقابلته ثم قالوا له : « أيها الملك ! إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . » فقال بطارقة النجاشي : « أيها الملك ! قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . »

وكان النجاشي بعيد النظر ، فطلب هؤلاء المهاجرين وسألهم عن حقيقة دينهم ؛ فتقدم جعفر بن أبي طالب ووصف له حالة العرب قبل الاسلام وبعده ، وشرح له أن دعوة الرسول ترمى إلى ترك الأوثان وعبادة الله والتخلق بمكارم الأخلاق . فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر : نعم . قال : فأقرأه على . فقرأ جعفر عليه صدرا من كهيعص (سورة مريم) وفيها حديث ميلاد المسيح) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ، ثم قال النجاشي :

إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكم .

ولما خرجا قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم ، ولا خبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، وطلب مقابلة النجاشي في الغد وقال له : أيها الملك ! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم وسلمهم عما يقولون فيه ، فطلب النجاشي المهاجرين مرة أخرى فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فقال النجاشي : والله ما عدا عيسى بن مريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم شيوم (آمنون) بأرضي من سبكم غرم ، فأنصرفوا . وقد رجع بعضهم إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة وأقام بعضهم في الحبشة إلى السنة السابعة للهجرة .

وبعد فإن الزمن القصير الذي صرفناه في تصفح هذا الكتاب لا يسمح لنا بمواصلة الكتابة عنه الآن ، فلنرجى ذلك إلى وقت أطول ، مهئين المؤلف على دأبه وكثرة إنتاجه .